﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١٩﴾ [المائدة: 119]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبةُ بين براءة عيسى مِن عابديه، وطمأنةِ الله للمؤمنين بالجِنان والرّضوان

لَمّا انقضى جوابُ عيسى ﷺ على الوجه الجليل، تشوَّف السّامعُ إلى جوابِ الله له، فقال تعالى مُشيرًا إلى كون جوابِه حقًّا ومضمونِه صدقًا، مُنبِّهًا على مدحه حاثًّا على ما بُنيت عليه السّورةُ منَ الوفاء بالعقود: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1]، في يوم ينفع الصّادقين صدقُهم، "وستكون لهم جنّات تجري الأنهار في جنباتها، جزاءً وِفاقًا، وسيكونون فيها خالدين أبدًا، حيث فازوا برضا ربّهم ورضوانِه، ورضوا عمّا أكرمهم به ربُّهم، وأنعم به عليهم، وهذا هو الفوز العظيم الّذي لا أعظمَ منه"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَنفَعُ﴾: منَ النّفع: ضدّ الضّرّ، يقال: نفعته بكذا فانتفع به، والاسمُ المنفعة[3]، هو ما يُستعان به في الوصول إلى الخير، وقد نفعه نفعًا، وانتفع به، والاسم: المنفعة، وعليه اقتصر الجوهريّ[4]، والمنفَعة: الفائدةُ، وكلُّ ما يُستفادُ منَ الشَّيء فهو مَنفعةٌ، وضِدُّ المنفعةِ: المضرَّةُ، وأَصلُ النَّفعِ في اللُّغةِ: الخَيرُ، وكلُّ ما يُستعانُ به في الوُصولِ إلى المَطلوبِ. ومِن مَعاني المنفَعةِ أيضًا: المَصلحةُ والثَّمَرَةُ[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 6/368.
(2) حومد، أيسر التّفاسير، ص: 789.
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (نفع).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (نفع).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، والزّبيدي، تاج العروس: (نفع).

والمعنى: الفائدةُ الّتي تَنال الصّادقين من توحيدهم، وتعودُ عليهم.

2) ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾: الصّادُ والدّالُ والقافُ أصلٌ يدُلُّ على قوَّةٍ في الشَّيءِ قَولًا وغَيرَهُ. ومِن ذلكَ الصِّدقُ: خلافُ الكذبِ؛ سُمّيَ لقوَّته في نَفسِهِ، ولأنَّ الكذبَ لا قوَّة له، هو باطلٌ. وأصلُ هذا مِن قَولِهِم شَيءٌ صَدْقٌ؛ أي: صُلْبٌ[1]. يُقال: صدقتُ في الحديث، وصدقتُ غيري الحديثَ، يتعدّى ولا يتعدّى. قال اللّه تعالى: ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧٠﴾ [الأعراف: 70]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ﴾ [آل عمران: 152][2]

والمعنى: الّذي صدَقوا اللّه فيما وعدوه، فوَفَّوا به للّه.

3) ﴿ٱلۡفَوۡزُ﴾: الظَّفَرُ بالخَير، والنّجاةُ منَ الشّرّ، والفَوزُ أيضاً: الهلاك. تقول منهما: فازَ يَفوزُ، وفَوَّزَ؛ أي: مات، وكُلُّ مَنْ أصابَ خَيراً فقد فازَ به؛ أي: أفلَحَ[3]. "وأفازه اللّه بكذا ففاز به؛ أي: ذهب به. وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ﴾ [آل عمران: 188]؛ أي: بمنجاة منه. والمفازة أيضًا: واحدة المفاوز.. قال الأصمعيّ: سمّيت بذلك تفاؤلًا بالسّلامة والفوز"[4].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ثـمـرةُ صـدقِ النّيّاتِ والأقوالِ والأعمالِ

قال اللّه مُجيبًا لعيسى ﷺ: هذا اليوم - الّذي هو يومُ القيامة - هو الوقتُ الّذي يَنتفعُ فيه الصّادقون بصِدقِهم، جزاؤهم جنّاتٌ تَجري الأنهارُ من تحتِ أشجارِها وقُصورِها، ماكثينَ فيها على الدَّوامِ، وقد نالوا متعة الجسم في الجنّات، ومتعة الرّوح بالرّضوان

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (صدق).
(2) نشوان الحِميريّ، شمس العلوم: (صدق).
(3) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عباد، المحيط، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (فوز).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (فوز).

من ربّ الأرض والسّماوات، إذ ﷻ فقَبِل حسناتِهم، ورضوا عنه بما أعطاهم من جزيل ثوابه، ذلك الجزاء والرّضا منَ الله، هو الفوز العظيم الّذي لا يقاربُه جزاءٌ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلَّةُ فَصْلِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ:

طَرِيقَةُ الحِوَارِ تَقْتَضِي فَصْلَ جُمَلِ المُحَاوَرَةِ

فُصِلَ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ عَمّا قَبْلَهُ؛ لوقوعِهِ استئنافًا بيانيًّا، وذلك أنَّ قولَهَ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ﴾ جاءَ جوابًا عن سُؤالٍ يُفْهَمُ مِنَ التي قَبْلَها؛ إذْ قولُهُ سُبحانَهُ حكايةً عن عيسَى ﷺ أنَّه قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ يبعَثُ في نفسِ المُتلقّي سؤالًا وهوَ: فما كان قولُ اللهِ ﷻ؟ فجاءَ الجواب: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾، وهذا المَعْنَى الذي فُصِلَت الجملَةُ لأجْلِهِ هوَ مرادُ مَنْ قالَ مِنْ أهل العِلْم: إنَّ الفصلَ حاصلٌ على طريقةِ الحوار[2].

ويجوزُ أن تكونَ الجملَةُ استئنافًا ابتدائيًّا؛ خُتِمَ به حكايةُ ما يقعُ في يوم القيامَةِ، وأُشيرَ إلى مآلِهِ وعاقبَتِهِ[3].

بلاغةُ الخطاب في قوله: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾:

جماليّةُ اتّساعِ المعنى في أُسلوب الحَذف والتّقديرِ حسبَ القراءة القرآنيّة

هذا الخِطابُ موجَّهٌ مِنَ الحقِّ ﷻ لعباده جميعًا، يُخبرهم عن عاقبة كلٍّ منهم، فبيَّن جزاءَ الصّادقين، وهو الفوزُ برضاه تعالى، ودُخولُ جنَّة الخُلد إلى الأبد، وأضمر جزاءَ الفريق الآخر؛ لدلالة السّياق عليه؛ حتَّى تذهب النُّفوس في تخيُّلِه كلّ مذهبٍ، كما أضاف هذا الإضمار على السّياق منَ التَّرهيب والتَّخويف من سوء المآل ما لا يخفى.

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 4/353، وجماعة منَ العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 127.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 7/117.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/102، والآلوسي، روح المعاني: 4/68.

ومن جهة أخرى، فقد قرأ الجمهور برفع ﴿يَوْمُ﴾ من غير تنوين، باعتباره خبرًا لاسم الإشارة؛ أي: قال الله تعالى: (إنّ هذا اليوم هو اليوم الّذي ينتفع الصّادقون فيه بصدقهم في إيمانهم وأعمالهم) ...، وقرأ نافع ﴿يَوْمَ﴾ بالنّصب من غير تنوين، على أنّه ظرفٌ لـ (قال)؛ أي: قال الله تعالى هذا القول لعيسى، يومَ ينفعُ الصّادقين صدقُهم"[1]، وفي التّقديرين مجالٌ لإعمال الفكر، وربطِ عناصر السّياق بالمعنى المُتوخَّى من هذا السّياق البليغ.

عِلَّةُ العُدول إلى صيغة الماضي بقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا﴾:

استخدامُ صِيغة الماضي لتأكيد الوقوع في المستقبل

ابتدأتِ الآيةُ الكريمة بصيغةِ الماضي: ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾؛ للتّعبير في تشوّفٍ يقينيٍّ عنِ المستقبَل الَّذي سَيكونُ يومَ القيامةِ؛ للدَّلالةِ والتَّنبيه على تَحقُّقِ الوقوعِ لا محالة، وأنَّ ما هو للوقوع كالواقع. والتَّعبير بلفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾؛ لإظهار الجلالةِ، وتربيةِ المهابةِ مع ما فيه من تأكيد القول ووثوقِه.

سِرُّ التَّعبير باسمِ الإشارة ﴿هَٰذَا﴾، ودلالةُ المشاكلة في الآية الكريمة:

تعيّنُ اسمِ الإشارة طريقًا إلى إحضار المشار إليه بعينِه في ذِهن السَّامع

التَّعبيرُ عن يوم القيامة باسْمِ الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ الَّذي يدلُّ على القُرب، وكأنَّ الأمرَ يحصلُ أمامَ المُخاطَب، ويجوزُ أن يكون اسمُ الإشارة مُستعمَلًا في حقيقته لكونه في الآخرة، حيث يُقال لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ﴾، وفيه مشاكلةٌ توحي بأنَّ الجزاءَ من جنس العمل. واستعمالُ اسم الإشارة بهذا الأسلوب يُسمَّى الاستبدالَ، وهو من وسائل السَّبك النَّحويّ، وبه ينقلنا الله تعالى إلى ذلك الوقت الَّذي سيُحاسِب فيه الخلقَ أجمعين، كما ينقلنا إلى أهواله العظيمة لحظةَ السُّؤال، وما بعد ذلك منَ الجزاء[2].

(1) ابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/256، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 4/353.
(2) نسيبة خميس، الدّرس اللّغويّ في سورة المائدة، ص: 343.

دلالةُ التَّعبير بكلمة ﴿يَوۡمُ﴾ في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾:

الصِّدقُ ينفع العبادَ في المعَاد، وتُنَالُ به الجنّةُ يومَ يقوم الأشهاد

جاء النَّظمُ القرآنيّ بكلمة ﴿يَوۡمُ﴾ نكرةً، وقد أضافها إلى الجملة الفعليّة وعرّفها بها، كأنَّه يقول: (إنّ هذا الأمرَ قد فُرِغَ منه؛ ففضر اللّه لمَن شاء، وعذَّب مَن شاء)، فهو من باب الإسناد إلى السَّبب.

دِلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالفِعْلِ المُضَارِعِ ﴿يَنفَعُ﴾:

العَاقِبَةُ الحَمِيدَةُ لِلصِّدْقِ وَدَوَامُ نَفْعِهِ لِأَصْحَابِهِ

جاءَ التَّعبيرُ بالفعل المضارِع ﴿يَنفَعُ﴾ في قَوْلِ اللّهِ سُبحانَهُ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾؛ للإيماء إلَى دوام هذا النَّفْع واستِمْرارِهِ؛ حيث إنَّ صدْقَهُمْ يورثُهم نعيمًا أبديًّا دائمًا من دخولِ الجنّاتِ وما فيها وحلولِ رضْوان اللّه تعالى عَليْهِمْ.

سرُّ التَّعبير بقوله تعالى: ﴿يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾ دون: (صَدَقْتَ):

الحثُّ على الصِّدق والتَّرغيب فيه، لأنّه من أعظم القيم

جيءَ بالتَّعبير بقوله تعالى: ﴿يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾، وعدلَ عن قوله: (صَدَقت)؛ ليطابقَ مقتضى الظّاهر؛ وذلك لأنَّ عيسى عليه السلام لمّا مهَّد عذرَه بتلك العبارات الفائقة البالغة في التَّبرّي عمّا يُنسب إليه، ونزّه اللّه التَّنزيهَ الكاملَ، قابله اللّه تعالى بالشَّهادة له بالصِّدق بما هو أبلغُ ممّا أتى به في التَّنصّل، حيث عمَّ المكلَّفين كلَّهم، وعمَّ أوقاتهم؛ ليدخلَ عليه السلام في ذلك العامّ دخولًا أوَّليًّا[1]، ولذلك عبّر بتأكيده "أنّ هذا اليوم هو يومُ القيامة، اليوم الّذي ينفع فيه الصّادقين صدقُهم في إيمانهم، وفي سائر أقوالهم وأحوالهم"[2].

دِلَالَةُ اللَّامِ فِي ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾:

الكَامِلُونَ فِي الصِّدْقِ هُم كَامِلُو الِانْتِفَاعِ يَوْمَ القِيَامَةِ

اللّامُ في ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ مِنْ قَوْلِ اللّهِ ﷻ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ دالَّةٌ علَى الكَمالِ، فالمرادُ بالصّادقين: الكاملونَ في الصِّدْقِ، وهُمْ أَهْلُ الإيمانِ لا كُلُّ مَنْ صدرَ مِنْهُ صدْقٌ أيًّا كانَ.

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 5/550.

(2) إبراهيم القطّان، تيسير التّفسير، ص: 450.

عِلَّةُ فَصْلِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ:

بَيَانُ أَكْمَلِ أَحْوَالِ نَفْعِ الصِّدْقِ لِأَصْحَابِهِ فِي الآخِرَةِ

فُصِلَ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ عَمّا قَبْلَهُ؛ لوُرودِها استئنافًا بيانيًّا، فبينَها وبين الجملةِ قبلها شبْهُ كمالِ الاتِّصالِ، وذلك أنَّ اللهَ ﷻ لمَّا قال: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ أورَثَ ذلك في نفسِ المتَلَقّي سؤالًا، وهوَ: ينفعُهُمْ بأيِّ شيءٍ، أو: ما لهم من الجزاءِ على هذا الصِّدْقِ؟ فجاء الجوابُ: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[1].

ويجوزُ أن تكونَ الجملةُ بيانًا للجملةِ قبلَها، فيكونُ بين الجملتينِ كمالُ الاتِّصالِ، فجملةُ ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ قد بيَّنت النَّفْعَ في قوله تعالَى: ﴿يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾؛ باعتبارِ أنَّ ذلك أكمَلُ أحوال نفع الصِّدْقِ[2].

دلالةُ أسلوبِ الحصْر بتقديم الخَبر على المبتدأ في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾:

مَا يُقَدِّمُهُ السِّيَاقُ من بشارات، يؤجّجُ الأشواقَ إلى نعيم الجنّات

يدلُّ تَقديم الخبرِ ﴿لَهُمْ﴾ على المبتدأِ ﴿جَنَّٰتٌ﴾ على الحَصرِ، بمعنى: أنَّ هذا الثَّوابَ يختصُّ به الصّادِقونِ دون سواهم، "فهؤلاء الصّادقون أعَدّ الله لهم جنّاتٍ يعجز عنها الوصفُ، تجري من تحت أشجارها الأنهار، ثوابًا من عند الله، وهم مقيمون فيها لا يخرجون منها أبدًا"[3]، وقصرُ الجنّات عليهم بتقديم الخبر على المبتدأ، مِن شأنه أن يملأ قلوبَهم باليقين، وأنفسَهم بالطّمأنينة، فيعيشون في رغدِ حالٍ، وطمأنينةِ بالٍ، لا خوفٌ عليهم في الدّنيا، ولا هم يحزنون في الآخرة.

دلالةُ التَّعبير بكلمة ﴿جَنَّٰتٌ﴾ في قوله: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾:

تنكير كلمة ﴿جَنَّٰتٌ﴾ في الآية أفادت تعظيمًا وتفخيمًا لها؛ أي:

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 4/423، والبقاعي، نظم الدرر: 6/368، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/103.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/119.

(3) إبراهيم القطّان، تيسير التّفسير، ص: 450.

هي جنّات عظيمة، وآثر القرآن التَّعبيرَ بصيغة الجمع دون المفرد فلم يقُل: (جنَّة)؛ للإيماء إلى أنَّها واسعةٌ فسيحةٌ حتَّى كأنَّ كلَّ ناحيةٍ منها جنَّةٌ.

كلُّ لفظٍ للجنَّة يُفيد التَّفخيمَ والتَّعظيم؛ تدليلًا على الجزاء والتّكريم

زيادةً على ذلك، أنَّها تأتي في القرآن مُفردةً ومجموعةً ومثنّاةً، أمّا الإفراد فباعتبار الجنس، فتشمل كُلَّ ما كان منَ الجنّات، وأمّا الجمع فباعتبار الأنواع؛ لأنَّها درجات متعدّدة أعدَّ الله للمُجاهدين في سبيله مئةَ درجة، وأمّا التَّثنية فباعتبار الجنس، وهذا في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ۝٤٦﴾ [الرَّحمن: 46]، ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝٦٢﴾ [الرّحمن: 62][1].

بلاغةُ المجاز العقليّ، في قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾:

براعةُ الوصف في تصوير الجنَّات، لا يتأتّى لغير البيان القرآنيّ

في إسناد الجَري إلى الأنهار، مجاز عقليٌّ علاقتُه مكانيَّةٌ، فقد أَسند النَّظمُ القرآنيُّ الجريَ إلى الأنهار مع أنَّها مكانُ جري الماء، ولم يُسنده إلى الماء؛ للإشارة إلى شِدَّة جري الماء وسرعة اندفاعه وتدفُّقه[2]، وهذا التَّعبيرُ يوحي إليك أنَّ المكانَ كلَّه يجري، وهذا كما ترى مِن روائع التَّصوير، ولطائفِ التَّعبير في نظم القرآن، وجملة: ﴿تَجۡرِي﴾ إمّا حالٌ منَ الجنّات، وإمّا صفةٌ لها.

سرُّ التَّعبير بقوله: ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ دون (تجري تحتها):

ما في الجنّة من ثمارٍ وأنهار، يُعجزُ العقلَ، وتتقاصرُ عنهُ العبارةُ

دلالةُ ﴿مِن﴾ في الجملة الكريمة ابتدائيةٌ تُبيِّن ابتداءَ جري الأنهار، بأنَّه مِن تحت الجنّات؛ ولذلك آثر القرآنُ التَّعبيرَ بقوله: ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾، ولم يقُل: (تجري تحتها)؛ للإشارة إلى هذا المعنى، وقدِ اقتضتِ البلاغةُ القرآنيَّة إضافةَ كلمة (تحت) إلى ضمير الجنّات هنا دون إضافتها إلى ضمير الصّادقين، كما جاء في آيات أُخر؛ لتأكيد ابتداء جري الأنهار مِن تحتها؛ ولأنَّ الحديث في هذا

(1) ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم - سورة المائدة: 2/567.
(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 15/9335.

السّياق عنِ الجنّات، لا عنِ المؤمنين؛ ولذلك آثرَ النَّظمُ إضافةَ (تحت) إلى ضميرها مراعاةً لمطابقة مُقتضَى الحال[1].

دِلَالَةُ وَصْفِ الأَنْهَارِ بِجَرْيِ مِيَاهِهَا فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَرُ﴾:

جَـمَـالُ الجَـنَّـةِ وَجَمَالُ مَا فِيهَا

وَصْفُ الأَنْهارِ بِجَرْيِ مياهِها يُراد به المدحُ؛ وذلك لأنَّ أَحْسَنَ المياهِ ما كانَ جاريًا؛ لأنَّ ذلك يَقْتَضي كونَه جَديدًا كلَّما اغْتُرِفَ أَوِ اغتُسِلَ منهُ.

وَأَصْلُ الجَرْيِ: شِدَّةُ سُرعةِ المَشْيِ، وإطلاقُهُ على سَيَلان الماء سَيْلًا متكرِّرا مُتَعاقبًا: مَجازٌ[2]، وفيه مَسْلَكانِ:

أحدهما: أنَّه مجازٌ بِالاسْتِعارَةِ؛ ووجهُهُ: أنَّه شُبِّهَ سيَلانُ الماءِ سَيْلًا مُتَكرِّرا متعاقبًا لشِدَّة سُرعة المشي؛ بجامعِ سُرعة الانْتقال والحركةِ في كلٍّ مِنْهُما، فيكونُ مِنَ الاستعارَةِ التَّصريحيَّة التَّبعيَّة.

والآخَرُ: أنَّه مجازٌ مُرسَلٌ بعلاقةِ الإطلاق والتَّقْييد، فأصلُ الجري: شدَّةُ سُرعة المشي، ثُمَّ أُطلِقَ عَنْ قَيْدِ المشي، واستعمِلَ في شِدَّة السُّرعةِ مطلقًا.

وهوَ على كِلا الوَجْهَيْنِ أدخَلُ في مَدْحِ الماءِ الجاري؛ لِاقْتِضائِهِ المُبالغةَ في جِدَّتِهِ بشدَّةِ جَرْيِهِ.

دِلَالَةُ اللَّامِ فِي ﴿ٱلْأَنْهَرُ﴾ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَرُ﴾:

مِنْ تَمَامِ التَّنَعُّمِ بِالجَنَّةِ جَرْيُ الأَنْهَارِ فِيهَا

اللّامُ في الأَنْهار من قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَرُ﴾ لِتَعْريفِ الجِنْسِ، فيكونُ في قوَّة النَّكرةِ.

ويجوزُ أن تكون اللّامُ لِلْعَهْدِ التَّقديريِّ؛ وذلك أنَّه لَمّا ذُكرتِ الجنَّةُ في قولِهِ تعالَى: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾؛ اسْتَحْضَرَ السّامعُ لَوازِمَها ومقارناتِها؛ فساغَ لِلْمُتَكلِّم أن يُشير إلى ذلك المعهودِ، فَجيء باللّام.

(1) الأنصاريّ، نصوص التّرغيب والتّرهيب في القرآن الحكيم، ص: 305.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/354.

ويجوزُ أَن تكون لِلْعَهْدِ الخارجيِّ، والإشارةُ فيه إِلَى قَوْلِ اللهِ تَعالَى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: 15].

بَرَاعَةُ الكِنَايَةِ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾:

رِفْعَةُ الصَّادِقِينَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ مَكَانَةً وَمَكَانًا

في ذِكْرِ جَرْيِ الأَنْهار مِنْ تحتِهم في قَوْلِهِ تعالَى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ كنايَةٌ عَنْ عُلوِّهِمْ، وعُلوُّهم مكانًا مُشْعِرٌ بعلوِّهم قَدْرًا.

دلالةُ التَّعبير بالخلودِ والأبدِ في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾:

سرُّ ذكرِ الثَّواب مع الخلود ولفظِ (أبدًا)، وذكرِ العقاب مع الخلود فقط

آثر القرآنُ التَّعبيرَ بلفظ ﴿خَٰلِدِينَ﴾؛ لدلالته على طول الزَّمان، زيادةً في إكرام الصّادقين بما يلقونه في الجنّات مِن نعيم لا يزولُ ولا يحولُ، والتّعبيرُ بالجارّ والمجرور ﴿فِيهَآ﴾ إشارةٌ إلى بقائهم وخلودهم في تلك الجنّات، ولزيادة ترغيبهم بها؛ كنَّى عنها بالضَّمير على أسماعهم، أمّا كلمة ﴿أَبَدًا﴾ فهي عبارةٌ عن مدَّة الزَّمان الممتدّ الَّذي لا انقطاعَ له، ذلك أنّه لمّا أُتبع الخلودُ بالأبد عُلِم: أنَّه يُراد به الدَّوامُ؛ الَّذي لا ينقطع على الإطلاق، وهي إشارةٌ إلى تأبيد الدَّيمومة في جنّة الخلود، ويصحُّ القولُ: إنّ الخلود هو المكثُ الدّائم ما لم يقمْ دليلٌ على أنَّه مُؤقّتٌ، فإن أُكِّد بالأبديّة انقطع القولُ، بأنَّه خلودٌ طويل[1].

عِلَّةُ فَصْلِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ:

إفَاضَةُ اللهِ تَعَالَى مِنْ رِضْوَانِهِ عَلَى الصَّادِقِينَ مَا لَا يُعْرَفُ مِقْدَارُهُ

فُصِلَ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ عَمّا قَبْلَهُ؛ لكونِهِ استِئْنافًا آخرَ، فبينَ هذهِ الجملَةِ وما قبلَها: شبهُ كمالِ الاتِّصالِ، وذلك أنَّ اللهَ ﷻ لمّا ذكر جزاءَ الصّادقين بقوله: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾؛ أورثَ ذلك في نفسِ المتلقّي سؤالًا آخرَ وهو: هل لهُمْ جزاءٌ غيرُ هذا؟ فجاء الجوابُ: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

(1) ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم - سورة المائدة: 2/568، والدّرّة، تفسير القرآن الكريم: 2/628.

﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾؛ لبيانِ أنَّه سُبحانَهُ قد أفاضَ عَلَيْهِم مِنْ غيرِ المذكور مِنَ الجنّات ما لا يُعْرَفُ مقدارُهُ وهو رِضْوانُهُ سُبحانَهُ عَلَيْهِمْ[1].

دِلَالَةُ التَّعْبِيرِ بِالفِعْلِ المَاضِي فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾:

مَـا أَخْـبَرَ اللهُ ﷻ بِهِ مُتَحَقِّقُ الوُقُوعِ

جاءَ التَّعبيرُ في فِعْلَي الرِّضا في قَوْلِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ بصيغةِ المُضيِّ، والمرادُ: الإخبارُ أنَّ اللهَ سُبحانَهُ سَيَرْضَى عَنْهُمْ وسيرْضَوْنَ عَنْهُ رِضًا خاصًّا؛ وذلك لأنَّ السّياقَ في ذِكْرِ أَحْوالِ الآخرَةِ، ولَكِنْ عُبِّرَ عَنْ ذَلِكَ بالفِعْلِ الماضي - على خلافِ مقتضَى الظّاهرِ - للدّلالَةِ على تحقُّقِ وقوعِ هذا الرِّضا، وأنَّهُ ممّا لا بُدَّ أن يكونَ.

نُكْتَةُ الإِظْهَارِ فِي مَوْضِعِ الإِضْمَارِ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾:

تَعْظِيمُ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى وَتَفْخِيمُ شَأْنِهِ

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ إظهارٌ في موضعِ الإضْمار، وذلك لتقدُّمِ التَّصريح بالاسْمِ الأحسنِ (اللهِ) في قولِهِ: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾، فكان مقتضَى الظّاهرِ أن يَرِدَ النَّظْمُ القرآنيُّ: (رَضِيَ عَنْهُمْ ورضوا عَنْهُ)، إلّا أنَّه أظهَرَ في محلِّ الإضْمار تعظيمًا لشأنِ هذا الرِّضا وتفخيمًا لحالِهِ؛ إذْ هوَ صادرٌ ممَّن جمعَ صِفاتِ الجلالِ والجمالِ والكمالِ.

ويَجوزُ أن تكونَ الآيةُ مِنْ قَبيلِ الالتفاتِ بالنَّظَرِ إلى جملةِ مقولِ القولِ وأنَّها في قوَّةِ أسلوبِ الخِطابِ، فَعُدِلَ عَنْهُ إلى الاسمِ الظّاهرِ - وهوَ بمنزلَةِ الغَيْبَةِ - ؛ ليُعَلَّقَ الرِّضا بصريحِ الاسْمِ دونَ ضميرِهِ.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/103.

دلالةُ التَّعطف[1] في قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّـهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾:

رضا الله ﷻ من أعظم النّعم، في الدّنيا والآخرة

أتى في الآية الكريمة بالتَّعطف في قوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾، فرِضى الله مُستعملٌ في إكرامه وإحسانه، ورضى الخَلْق عنِ الله، هو محبَّتُه، وحصولُ ما أمّلوه منه، وبما نالوه منَ النّعيم المُقيم، بحيث لا يبقى في نفوسهم مُتطلَّعٌ، حتَّى لكأنَّه رضى مُتبادلٌ بين الخالق والمَخلوقين، والمعبود والعابدين، فسُبحانه من ربٍّ كريم، برٍّ رحيم[2].

بَرَاعَةُ التَّرَقِّي فِي الآيَةِ الكَرِيمةِ:

اجْتِمَاعُ مُتْعَةِ الأَجْسَامِ مَعَ مُتْعَةِ الأَرْوَاحِ لِأَهْلِ الصِّدْقِ فِي الآخِرَةِ

في قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿لَهُمۡ جَنَّـٰتٌ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ أسلوبُ تَرَقٍّ؛ حيثُ ذكرَ اللهُ سُبحانَهُ ما للصّادِقينَ من النَّعيم الذي به مُتعةُ الأجسام في الجنّاتِ وما يتْبَعُها من جَرْيِ الأَنْهار، ثُمَّ ذكَرَ ما تَحصُلُ به مُتعةُ الأَرْواح، وهوَ رِضْوانُ اللهِ تعالى عَلَيْهِمْ وهوَ أَعْظَمُ، كما قال اللهُ تعالَى: ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ﴾ [التَّوبة: 72].

سِرُّ التَّعبير باسم الإشارة (ذَلك) في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾:

مـن دلالات اسـم الإشـارة صرفُ الذّهن إلى تعظيم المُشارِ إليه

اسمُ الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ في الآية الكريمة جيء به لتعظيم المشار إليه، وهو الجنّات والرّضوانُ، وأشار إليه بإشارة البُعد دون القُرب؛ وذلك لعُلوِّ مرتبته وارتفاعِها، فإنَّه فوزٌ لا نظير له[3]، والتّعظيمُ باسم الإشارة المتّصلِ بلام البُعد (ذلك) مسلكٌ في البيان يسلكُه القرآن؛ ليُضفيَ هالةً منَ التّعظيم على المشار إليه باسم الإشارة، وهو هنا ﴿ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

(1) التّعطُّف: أن يأتي الشّاعرُ في المصراع الأوّل منَ البيت بلفظة ويعيدها بعينها، أو بما يتصرّف منها بالمصراع الثّاني، فشُبِّه مصراعا البيت في انعطاف أحدهما على الآخر بالعطفين، في كون كلّ عطف منهما يميل إلى الجانب الّذي يميل إليه الآخر. العسكريّ، الصّناعتين، ص: 420، والسّبكيّ، عروس الأفراح: 2/313، وابن معصوم، أنوار الرّبيع، ص: 468.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/119، والخطيب، التّفسير القرآنّي للقرآن: 4/86، والدّرّة، تفسير القرآن الكريم: 3/240.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/119، وابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم - سورة المائدة: 2/568.

أَكْمَلُ أَنْوَاعِ الفَوْزِ دُخُـولُ الجَنَّةِ وَمَـا يَتْبَعُـهَا مِـنَ النَّـعِـيمِ وَتَحْصِيلُ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى

دِلَالَةُ اللَّامِ فِي ﴿ٱلْفَوْزُ﴾ مِنْ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾:

اللّامُ في ﴿ٱلْفَوْزُ﴾ مِنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ يُرادُ بها الكمالُ والتَّعظيمُ، أي: ذلكَ المذكورُ مِنَ النَّعيم الجسديِّ والنَّعيم الرّوحيِّ هوَ الفَوْزُ الكاملُ العظيمُ.

اجْتِمَاعُ العَظَمَةِ الذَّاتِيَّةِ وَالعَظَمَةِ الإِضَافِيَّةِ فِي فَوْزِ الآخِرَةِ

دِلَالَةُ وَصْفِ الفَوْزِ بِالعَظَمَةِ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾:

وُصِفَ الفَوْزُ بِالعَظَمَةِ في قَوْلِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ مبالغَةً في تفخيم شأْنِ هذا الفَوْزِ، فاجتَمَع في الفَوْزِ العظمَةُ الذّاتيَّةُ المستفادَةُ مِنْ تعريفِ الكلِمَةِ باللّام، والعَظَمَةُ الإضافيَّةُ المستفادَةُ مِنْ وصْفِ الفَوْزِ بِالعَظَمَةِ.

لا فوزَ أعلى من رضوان الله

بلاغة المجاز المُرسَل، في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾:

في الآية الكريمة مجاز مُرسَل، وعلاقتُه التَّعلّقُ الاشتقاقيّ، حيث عبَّر بالمصدر عنِ المفعول؛ والمعنى: ذلك المَفوز به[1]، وبعد أن شاهدنا العرضَ القرآنيّ لذلك المشهد المهولِ، وسمعنا تفاصيل الاستجوابِ الإلهيّ للمسيح وأتباعِه، منَ الملحّين في طلب معجزة المائدة، وجدنا بلاغةَ القرآن في طريقته الإبداعيّة التّصويريّة المشوّقةِ، لم تدعْه وعدًا يوعدُ، ولا مُستقبلاً يُنتظرُ، ولم تدعْهُ عباراتٍ تسمعُها الآذان، أو تقرؤُها العيونُ، إنّما حرّكتْ به المشاعِرَ، وجسَّمَتْه واقعًا، تسمعه الآذان، وتراه العيون.

التّشابهُ بين آيتَي سورة المائدة والتّوبة، وسرُّ تقديم الرّضا في إحداهما دون الأخرى:

الآيتان قيدَ السّؤال هما: قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، وقوله تعالى:

(1) الإندونيسّي، الشّامل في بلاغة القرآن: 1/324.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التّوبة: 100].

لمَ خُصَّت كلُّ آية بما فيها من تقديم الرِّضا أو تأخيره؟

والجواب كالتّالي: ابتدأَتْ آية المائدة بقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ﴾؛ فحينما كان النَّفعُ أكثرَ ارتباطًا بما هو محسوسٌ ناسبه تقديمُ: ﴿لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ على ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾. أمّا آية التَّوبة فكانت بدايتُها بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾؛ فلمّا ذَكر هؤلاء مرتَّبين حسب أفضليّتهم، وكان رضَى اللهِ عنهم أفضلَ ممّا أعدَّ لهم منَ الجنّات، ناسبه تقديمُ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ على ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ﴾[1].

الفرق بين ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا﴾ وبين: ﴿تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التوبة: 100]:

كلّ مَوضِع في القرآن ذُكِر فيه ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ فهو عامٌّ لقومٍ فيهم الأنبياءُ وغيرُهم، بل هم أوَّلُهم، والمَوضِعُ الَّذي لم يُذكَر فيه ﴿مِن﴾، إنَّما هو لقومٍ مخصوصينَ، ليس فيهم الأنبياءُ؛ و﴿مِن﴾ لابتداء الغاية، والأنهارُ مباديها أشرَفُ، والجنَّاتُ الَّتي مبادئ الأنهار من تحت أشجارها، أشرَفُ من غيرها؛ ولذا ناسبَ أن تكون لقومٍ فيهم الأنبياء، فلمّا خرجَ الأنبياءُ عنِ الآية الَّتي في سورة براءة؛ لأنَّ اللَّفظ لم يشتَمِل عليهم؛ لم يُخبرْ عن جنّاتهم بأنَّ أشرفَ الأنهار، على مَجرَى العادة في الدُّنيا، تحت أشجارها، كما أخبرَ به عنِ الجنّات الَّتي جعلها اللهُ لجماعةٍ خيارُهم الأنبياءُ؛ كما في قوله تعالى مثلًا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٢٢﴾ [المجادلة: 22]، وكما في جميع مَواضِع القرآن الّتي ذُكِر فيها جريانُ الأنهار تحت الجنّات، سوى مَوضِع التّوبة هذا[2]، على قراءة جمهور القراءِ، وقرأ ابنُ كثير بزيادة ﴿مِن﴾ في هذا المَوضِع من سورة التّوبة.

---

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/119، وابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم - سورة المائدة: 2/568.

(2) الإسكافيّ، درّة التّنزيل: 1/472 - 473، والشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 1/208، 2/1159، والسّامرائيّ، برنامج (لمسات بيانيّة في آي القرآن الكريم): الحلقة 16.

والفرقُ بين القراءتين هنا بكونِ المعنى على قراءة ابن كثير المكّيّ بزيادة ﴿مِن﴾؛ أنَّ مبتدأ جَرْي الأنهار من أسفل الجنّات؛ لأنَّ ﴿مِن﴾ لابتداء الغاية، والمعنى على قراءة جمهور القراء بترك زيادة ﴿مِن﴾: أنَّ الأنهار جاريةٌ من جهة أسفلها[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(اليوم) و(النَّهار):

اليومُ الواحدُ منَ الأيّام، ثمّ يستعيرونه في الأمر العظيم[2]، "والجمع أيّام، وأصلُه أيْوامٌ فأُدْغم، قال الأخفشُ في قوله تعالى: ﴿أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التّوبة: 108]، قال: من أوّل الأيّام، كما تقول: لقيت كلَّ رجل، تريد كلَّ الرّجال. وعاملتُه مُياوَمَة، كما تقول: مشاهرةً، وربّما عبّروا عنِ الشّدّة باليوم. يقال: (يومٌ أيْوَمُ)، كما يُقال: (ليلةٌ ليلاء)"[3]، ويُعبَّر باليوم عنِ الحَدَث العظيم، كيوم القيامة ويوم الحساب، وهو ما عليه معنى الآية[4]، وأمّا النّهار: فضدّ اللّيل. ولا يُجمع كما لا يُجمع العذاب، والسّراب، فإن جمعته قلت في قليله نُهُر، مثل: سَحابٍ وسُحُب[5]، والنّهار: انفتاح الظّلمة عنِ الضّياء، ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشّمس[6].

النَّفع والإحسان:

النّفع: ضدّ الضّرّ، يقال: نفعتُه بكذا فانتفع به، والاسمُ المنفعةُ[7]، وفي البصائر: هو ما يُستعان به في الوصول إلى الخير[8]. و"النّافع مِن أسماء اللّه الحسنى، وهو الّذي يوصل النّفع إلى مَن يشاء مِن خلقه، حيث هو خالقُ النّفع والضُّرّ، والخير والشَّرّ"[9]، وأمّا الإحسان فضدُّ الإساءة، والفرق بينه وبين الإنعام: أنّ الإحسان يكون لنفس الإنسان وغيرِه، والإنعام لا يكون إلّا لغيره[10]، ويُروَى: الإحسان يَستعبد الإنسانَ. قال الشّاعر:

(1) ابن أبي مريم، الكتاب الموضّح في وجوه القراءات وعللها: 2/603.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (يوم).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (يوم).
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 551.
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (نهر).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نهر).
(7) الجوهريّ، الصّحاح: (نفع).
(8) الزّبيديّ، تاج العروس: (نفع).
(9) الزّبيديّ، تاج العروس: (نفع).
(10) الزّبيديّ، تاج العروس: (حسن).

أَحسِنْ إلى النّاسِ تَستَعْبِدْ قُلوبَهُمُ***فَطالَما استَعبَدَ الإنسانَ إحسانُ[1]

والنَّفع قد يكون من غير قَصدٍ، والإحسان لا يكون إلّا مع القَصد[2].

الجنَّة والفِردوس:

الجَنَّةُ: كلُّ بستانٍ ذي شجر يستر بأشجاره الأرضَ، وسُمّيت الجنَّة؛ إمّا تشبيها بالجنَّة في الأرض - وإن كان بينهما بَونٌ - ، وإمّا لستره نِعمَها عنّا المشار إليها بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السّجدة: 17]. والفِردوسُ أصلُه البستان الَّذي هو الجنَّة بالحقيقة لانخفاض ما دونه عنه، وسترِ مَن يدخله بكثرة أشجاره، وسُمّيت الجنَّة بالفردوس؛ - وهو البستانُ يكونُ فيه الشَّجَرُ والزُّهورُ والنَّباتاتُ - وهي اسمٌ لأعلى الجَنَّةِ؛ لأنَّها درجةٌ في أعلى الجِنان وأوسطِها، وهي أفضَلُ وأعلى منزلةً في الجنَّةِ، وفي الفردوسِ مَنازِلُ الأنبياءِ، وجاء في الحديث: «الجنةُ مئة درجةٍ، كلُّ درجةٍ منها ما بين السّماءِ والأرضِ، وإنّ أعلاها الفردوسُ، وإنّ أوسطَها الفردوسُ، وإنّ العرشَ على الفردوسِ، منها تفجَّرُ أنهارُ الجنّةِ، فإذا ما سألتم اللّه فسلوهُ الفردوسَ»[3].

الأبَد والسَّرمد والأَمَد:

قالوا: الأبد: الدّهر، وجمعُه آباد، والعرب تقول: أبدٌ أبيد، كما يقولون دهرٌ دهير، والأَبَدَة: الفَعْلة تبقى على الأبد[4]، والأبدُ هو استمرار الوجود في أزمنة مُقدَّرة غيرِ متناهية في جانب المستقبل، والسَّرمدُ ما لا أوَّل له ولا آخر، وهو الَّذي لا فصلَ يقع فيه، وهو اتِّباع الشَّيء الشَّيءَ، وقالوا: (السّرْمد) الدّائم، والميم فيه زائدة، وهو من سرد، إذا وصل، فكأنّه زمان متّصل بعضه ببعض[5]، والسّرمد: دوام الزّمان من ليل أو نهار. وليل سرمد: طويل، وفي التّنزيل العزيز: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [القَصص: 72][6]، وأمّا الأمد فيكون ظرفًا منَ الزَّمان والمكان، يُضاف إلى ذلك، أنَّ الأمد مدّةٌ لها حدٌّ مجهول، وقد

(1) السّراج، اللّباب في قواعد اللّغة، ص: 267.

(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 548.

(3) أخرجه ابن ماجه، الحديث رقم: (4331)، وأحمد، الحديث رقم: (22140)، وصحح إسناده الألبانيُّ في صحيح ابن ماجه، الحديث رقم: (3512). الرّاغب، المفردات: (جنَّ)، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 12/149.

(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أبد).

(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (السّرمد).

(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (السّرمد).

ينحصر[1]. ومن هنا نقفُ على حكمة استخدام القرآن الكريم للفظ (أبدًا) في هذا السّياق؛ لاستمرار خلود أهل الجنّة فيها وتَنَعُّمِهِم بها دون انقطاعٍ.

الرّضوان والرّضا:

الرِّضوان: بكسر الرّاء وتُضَمُّ، اسم مبالغة في معنى الرِّضى، هو الرِّضى الكثير.

وقرأ القراء كلّهم الرِّضوان، بالكسر إلّا شعبةَ عن عاصم فقرأ بالضّمّ[2]، ولمّا كان أعظمُ الرِّضى رِضى الرَّحمن، خُصَّ لفظُ الرِّضوان في القرآن، بما كان منَ اللّه تعالى[3].

الظَّفَر، والفَوز، والنَّجاة، والفَلاح:

فرَّق العسكريُّ بين الظَّفر والفَوز؛ بأنَّ الظَّفر هو العُلوُّ على المناوئ المنازع، وقد يُستعمل في مَوضِع الفوز، ولا يُستعمَل الفوز في مَوضِع الظَّفر.

وفرَّق بين النَّجاة والفَوز؛ بأنَّ النَّجاةَ هي الخلاص منَ المكروه، والفوز هو الخلاص منَ المكروه، مع الوصولِ إلى المحبوب، وذَكَر أنَّ الفلاحَ نيلُ الخير والنَّفع الباقي أثرُه، ويُقال أيضًا لكلِّ مَن عَقل وحزم، وتكاملَت فيه خلالُ الخير: قد أفلح[4].

العظيم والكبير:

العظيم: منَ العظم: مصدر الشّيء العظيم، تقول: عَظُمَ يَعْظُم عُظْمًا، وعظّمته أنا، فإذا عَظُم في عينيك، قلتَ: أعظمتُه واستعظمته[5]، والعظيم قد يكون من جهة الكثرة، ومن غير جهة الكثرة، ولذلك جاز أن يوصف اللّه تعالى بأنّه عظيم، وإن لم يوصف بأنّه كثير، وقد يعظمُ الشّيءُ من جهة الجنس ومن جهة التّضاعف. وأضاف الكفويُّ أنَّ العظيمَ نقيضُ الحقير، كما أنّ الكَبيرَ نقيضُ الصَّغير، والعظيم فوق الكَبير؛ لِأَنّ العَظيم لا يكون حَقيرًا لِكَونهما ضِدّين، والكَبير قد يكون حَقيرًا، كما أنَّ الصَّغير قد يكون عَظيمًا، إذ لَيسَ كلٌّ منهما ضِدّ الآخر[6].

---

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 71 - 276، والرّاغب، المفردات: (أمد)، والجرجانّي، التّعريفات، ص: 7/118.
(2) ابن الجزريّ، النّشر في القراءات العشر: 2/238، والزّبيديّ، تاج العروس: 38/157.
(3) الرّاغب، المفردات: (رضي)، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 478، والمناوي، التّوقيف، ص: 178.
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 340 - 532 - 321.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عظم).
(6) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 361، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 631.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»